واقع الانتخابات في إفريقيا عام 2016م.. وتأثيراتها في التغيير السياسي

د. السيد علي أبو فرحة
دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية من جامعة القاهرة، مدرس العلوم السياسية بكلية السياسة والاقتصاد / جامعة بني سويف

استقرت المجتمعات والنُّظُم السياسية المعاصرة على وسيلةٍ وحيدةٍ للتغيير السّلمي، وتداول السلطة بين فرقاء أيّ نظامٍ سياسي، وهي أداة «الانتخابات»، وذلك بعد عقودٍ من اختبار أدوات ووسائل عدّة للتغيير؛ بين عنيفة وسلميّة؛ تفاوتت تكلفتها المجتمعية والسياسية والاقتصادية، وأخفقت في تحقيق الاستقرار السياسيّ المنشود، كأدوات الانقلاب العسكريّ العنيف، والانقلاب العسكريّ الأبيض، وانقلاب النّخبة، والتفاوض السياسي، والمحاصصة السياسية.

بيد أنّ تلك الأداة (الانتخابات)، الثمينة سياسيّاً للشعوب المعاصرة، لا تحظى بالقيمة نفسها في الخبرات الإفريقية المتفاوتة، والتي تستعين بها منذ عقودٍ دون الولوج لجوهرها في حالاتٍ عدة، كما تدمجها بأدواتٍ أخرى تقليدية عديدة؛ قد تُفرغها في بعض الأحيان من مضمونها الديمقراطي.

وتنهض أهمية هذه الدراسة، في هذا التوقيت من عام ٢٠١٦م، في ضوء ما شهدته وتشهده القارة الإفريقية من اختبارٍ واسع النطاق لأداة «الانتخابات» بوصفها وسيلةً للتغيير السياسي، أو الاستدامة السياسية، في إفريقيا على حدّ السواء، حيث بلغت حالات الانتخابات ستة عشر استحقاقاً رئاسيّاً في عام ٢٠١٦م.

ويستهدف هذا التحليل رصد الانتخابات الرئاسية التي شهدتها القارة الإفريقية جنوب الصحراء مؤخراً؛ في محاولةٍ لاختبار الأداة الديمقراطية المعروفة بـ «الانتخابات»؛ بوصفها وسيلةً للتغيير السياسيّ الديمقراطي، أو وسيلة للاستدامة السياسية غير الديمقراطية في كثيرٍ من الأحيان.

لذا؛ فإنّ محور التحليل في هذا المقام هو: اختبار صحّة تلك المقولة المعنية باعتبار «الانتخابات» وسيلة للتغيير السياسيّ الديمقراطيّ في إفريقيا، أو أنها وسيلة لاستدامة النُّظُم غير الديمقراطية في إفريقيا، وذلك في الدول التي شهدت انتخاباتٍ رئاسيةً منذ مطلع عام ٢٠١٦م، ومحاولة اختبار تلك المقولة في الدول التي ستشهد في هذا العام انتخاباتٍ رئاسية، وذلك لتحديد المسافة بين الديمقراطية والتغيير السياسيّ في تلك البلدان.

أما عن قائمة الدول التي شهدت- أو ستشهد- انتخابات عامّة رئاسية، أو عامّة برلمانية؛ ينتج عنها تسمية رئيس الوزراء وحكومته في عام ٢٠١٦م، فهي: (إفريقيا الوسطى، النيجر، بنين، تشاد، الرأس الأخضر، أوغندا، جزر القمر، ساوتومي وبرنسيب، وجامبيا، وغينيا الاستوائية، الجابون، جمهورية الكونغو الديمقراطية، وجمهورية الكونغو الشعبية، جيبوتي، غانا، الصومال، زامبيا)[1].

وسيتم الإشارة إلى واقع تلك الانتخابات كما يأتي:

أولاً: استمرار «الانتخابات» وسيلة لاستدامة النظم السياسية في غير سبيل الديمقراطية في النصف الأول من عام ٢٠١٦م:

شهدت تسع دول في القارة الإفريقية انتخابات عامّة رئاسية، أو برلمانية؛ نتج عنها تسمية رئيس الحكومة، وذلك حتى قرابة نهاية أبريل ٢٠١٦م، وهي دول: (إفريقيا الوسطى، والنيجر، وبنين، أوغندا، جزر القمر، تشاد، الكونغو الشعبية، جيبوتي، الرأس الأخضر).

وقد شهدت تلك الدول اختباراً حقيقيّاً لمعضلة عجز الديمقراطية عن التغيير في إفريقيا، كما سيرد بالعرض والتحليل فيما يأتي:

إفريقيا الوسطى (فبراير ٢٠١٦م):

شهدت تلك الدولة، التي لاقت ويلات عنفٍ مركّبٍ- بين سياسيٍّ وطائفيٍّ ودينيٍ- في السنوات الثلاث الأخيرة، إجراء الدور الثاني للاقتراع الرئاسيّ في ١٤ فبراير ٢٠١٦م[2]، وقد انتهت تلك الانتخابات بفوز «فوستان اركانج تواديرا» (آخر رئيس وزراء للرئيس السابق

(١) تقرير بعنوان: «٢٠١٦: الانتخابات في إفريقيا»، معهد البحوث الإفريقية، المملكة المتحدة، لندن، عبر الرابط الآتي: http://www.africaresearchinstitute.org/ (2016/04/blog-sticky/2016-elections-africa/ (22

(٢) «إفريقيا الوسطى: إجراء الدور الثاني الحاسم في الانتخابات»، خبر منشور بتاريخ ١٤ فبراير ٢٠١٦م، شبكة يورونيوز عربية عبر الرابط: http://arabic.euronews.com/2016/02/14/polls-close-in-central-african-republic-presidential-run-off-vote/

فرانسوا بوزيزي الذي أُطيح به عام ٢٠١٣م) على منافسه «أنيسي جورج دولوجيليه» (رئيس الوزراء السابق في الفترة (١٩٩٩م - ٢٠٠١م) إبّان حكم الرئيس «آنجي فيليكس باتاسي») في جولة الإعادة، حيث حصل على ما يربو عن ٦٢٪ من الأصوات، في حين أعلن المرشح الرئاسيّ الخاسر «دولوجيليه» قبوله بالنتائج، وعدم التقدّم بأية طعون[١].

النيجر (فبراير ٢٠١٦م):

انتُخب الرئيس المنتهية ولايته «محمدو إيسوفو» (البالغ من العمر ٦٤ عاماً) لولايةٍ ثانية، مدّتها خمس سنوات، بعد فوزه في جولة الإعادة بنسبه ٩٢,٥٪ من الأصوات، في مقابل أربعة عشر مرشحاً رئاسيّاً[٢]، أبرزهم المرشّح الرئاسيّ المعارض، والمعتقل منذ نوفمبر ٢٠١٥م على خلفية اتهامه بالتورط في قضية «اتجار بالأطفال»: «هاما أمادو» (البالغ من العمر ٦٦ عاماً) الذي حصل على ٧,٥٪ من الأصوات، حيث عُقدت جولة الإعادة في النصف الثاني من مارس ٢٠١٦م، في حين عُقدت الجولة الأولى في ٢١ فبراير ٢٠١٦م، وذلك في مناخٍ سادته الاتهامات بالتضييق، وعدم النزاهة، والمقاطعة[٣]، بنسب مشاركةٍ بلغت حوالي ٦٠٪ في الدور الثاني؛ مقابل ما يقرب من ٦٧٪ في الدور الأول؛ وفقاً للإحصائيات الرسمية بالنيجر، في حين توقعت مصادر ببدء محادثات للمصالحة بين الرئيس الفائز مؤخراً والمعارضة السياسية في البلاد[٤].

أوغندا (فبراير ٢٠١٦م):

أُجريت الانتخابات الرئاسية الأوغندية في ١٨ و ١٩ فبراير ٢٠١٦م، في مناخٍ من التحفّظ والتوتر، في ضوء ترشّح الرئيس الأوغنديّ المنتهية ولايته «يووري موسيفيني» (البالغ من العمر ٧١ عاماً) لولاية خامسة، مدّتها خمس سنوات، وهو الرئيس الذي يحكم البلاد منذ عام ١٩٨٦م عبر تولّيه منصب رئاسة الدولة؛ بالإضافة لمنصبَي وزير الدفاع ورئيس حزب حركة المقاومة الوطنية[٥].

وقد حصل أقرب المرشّحين المنافسين للرئيس الحالي على ٣٥,٤٪ من الأصوات؛ وفقاً للنتائج الرسمية، وهو مرشّح حزب منتدى التغيير الديمقراطيّ المعارض «كيزا بيسيجي»، والذي يعدّ معارضاً ومنافساً تاريخيّاً لموسيفيني، حيث خسر الانتخابات الرئاسية من الدورة الأولى في آخر ثلاثة انتخابات، وهي انتخابات أعوام: (٢٠٠١م، ٢٠٠٦م، ٢٠١١م) على التوالي، كما أنه شغل منصب «وزير» مرّات عديدة؛ بالإضافة لكونه الطبيب الخاصّ بالرئيس «موسيفيني» إبّان حروب المقاومة[٦].

(١) عادل دلال: «فوستان اركانج توادير رئيس جديد لجمهورية إفريقيا الوسطى»، منشور بتاريخ ٢٠ فبراير ٢٠١٦م، شبكة يورونيوز عربية، عبر الرابط الآتي: http://arabic.euronews.com/2016/02/20/touadera-hopes-to-heal-rifts-after-winning-car-presidential-poll/

(٢) عبدالله ماسالاكي: «النيجر تجري انتخابات الرئاسة، وايسوفو يسعي لولاية ثانية»، وكالة أنباء رويترز، ٢١ فبراير ٢٠١٦م، عبر الرابط: http://ara.reuters.com/article/worldNews/idARAKCN0VU08I

(٣) ربع ناخبي النيجر محرومون من الانتخابات، وكالة أنباء سكاي نيوز عربية، ٢٣ يناير ٢٠١٦م، عبر الرابط الآتي: http://www.skynewsarabia.com/web/article/810094/

(٤) إعادة انتخاب إيسوفو رئيساً للنيجر، والمعارضة ترفض النتائج، شبكة الجزيرة الإخبارية، بتاريخ ٢٣ مارس ٢٠١٦م، عبر الرابط الآتي: http://www.aljazeera.net/news/international/2016/3/23/

(٥) «أوغندا: موسيفيني يفوز في الانتخابات الرئاسية»، وكالة أنباء أر تي التركية، ٢١ فبراير ٢٠١٦م، عبر الرابط: https://arabic.rt.com/news/812057

(٦) «الانتخابات الرئاسية في أوغندا تنطلق علي وقع التذمر والاحتجاجات»، جريدة الشرق الأوسط السعودية، ١٩

جزر القمر (فبراير ٢٠١٦م):

شـــهدت جزر القمـــر انعقاد أولـــى دورات انتخاباتها الرئاسية في ٢١ فبراير ٢٠١٦م، وهي الانتخابات التي تنافس فيها ٢٥ مرشّحاً، وجرت على دورتَيْن، ومن الجدير بالذكر أنّ مرشّحي تلك الانتخابات ينحدرون مـــن جزيرة القمر الكبرى (إحدى الجـــزر الثلاثة المكوّنـــة للدولة)، حيث ينصّ الدستور أنّ رئاسة الدولة دورية بين الجزر الثلاث، لذا فإنّه لن يصوّت في الدورة الأولى كلّ ناخبي الاتحاد، وإنما الناخبون من جزيرة القمر الكبرى فقط، والبالغ عددهم ١٥٩ ألفاً، في حين يحقّ لناخبي الجزر الثلاثة التصويت في الدورة الثانية من الانتخابات، وهي الدورة التي عُقدت في العاشر من أبريل ٢٠١٦م[١].

وقد أسفرت تلك الانتخابات في دورتها الثانية عن فوز العقيد «عثمان غزالي»، وقد سبق أن حكم البلاد في الفترة: (١٩٩٩م إلى ٢٠٠٦م)[٢].

بنين (مارس ٢٠١٦م):

عُقـــدت فـــي ٦ مـــارس ٢٠١٦م الانتخابات الرئاســـية في بنين؛ في أعقـــاب إعلان الرئيس «توماس بوني ياي» رحيله عن السلطة، بعد تولّيه فترتَيْن رئاسيتَيْن منذ عام ٢٠٠٦م، حيث لا يجوز له إعادة الترشّـــح بموجب الدستور البنيني، وإن اتجهت نيته لتعديل الدستور للترشّح لولايةٍ ثالثة؛ لولا المعارضة القوية التي تلمسّها في هذا الشأن.

وتعدّ تلك الانتخابات ســـادس عملية اقتراعٍ

الديمقراطية بآليتها الوحيدة المتمثلة في «الانتخابات» لا تزال عاجزة عن التغيير الحقيقي في إفريقيا، بالرغم من وجود حالات مقدّرة للتغيير عبر الديمقراطية

رئاســـيٍّ في بنين منذ بدء مسارها الديمقراطيّ الراهـــن في عام ١٩٩١م، وقـــد تنافس في تلك الانتخابـــات ٣٣ مرشّـــحاً، كان أبرزهم «ليونيل زينســـو» رئيس الوزراء قُبيـــل الانتخابات، وهو اقتصـــاديٌّ ومصرفيّ ســـابق، كما يحظى بدعم الرئيس «توماس»[٣].

انتهت الانتخابات بفوز المرشّـــح الرئاسيّ ورجل الأعمال «باتريس تالون» (البالغ من العمر ٥٧ عاماً) في الـــدور الثاني للانتخابات، والذي عُقد في ٢٠ مارس ٢٠١٦م، وقد أقرّ المرشـــح الخاسر بنتائجها، حتى قبل إعلانها رسميّاً، ويعدّ الرئيس «تالون» المستثمر الرئيس في بنين عبر زراعة القطن، وإدارة ميناء مدينة «كوتونو»، كما يُذكر أنه الممول الرئيـــس للحملات الانتخابية للرئيـــس المنتهية ولايته، إلا أنـــه أضحى أبرز منافسيه السياسيين فيما بعد[٤].

فبراير ٢٠١٦م، عدد رقم ١٣٥٩٧، ومتاح عبر الرابط الآتي للجريدة:
http://aawsat.com/home/article/572161/

(١) «بدء الانتخابات الرئاسية في جزر القمر»، جريدة الحياة اللندنية بتاريخ ٢١ فبراير ٢٠١٦م، عبر الرابط الآتي:
http://www.alhayat.com/Articles/14083680/

(٢) «انتخاب عثمان غزالي رئيساً لجزر القمر»، شبكة الجزيرة الإخبارية، بتاريخ ١٦ أبريل ٢٠١٦م، عبر الرابط الآتي:
http://www.aljazeera.net/countries/comoros

(٣) الانتخابات الرئاسية تبدأ في بنين، شبكة الجزيرة الإخبارية، بتاريخ ٦ مارس ٢٠١٦م، عبر الرابط الآتي:
http://www.aljazeera.net/news/international/2016/3/6/

(٤) السيد عبد العليم: «بنين: انتخابات نزيهة وأمن واستقرار وتخلف وفساد لا مثيل لها»، مقال منشور بجريدة الوطن العمانية، بتاريخ ٥ أبريل ٢٠١٦م، عبر الرابط الآتي: http://alwatan.com/details/106443

الكونغو الشعبية (برازافيل) (مارس ٢٠١٦م):

بعد التصديق على دستورٍ جديدٍ للبلاد، في استفتاء دُعي له في نوفمبر ٢٠١٥م، أُلغي بموجبه حاجز العمر، وعدد الولايات الرئاسية للترشّح للانتخابات الرئاسة، وفي مناخ من التحفّظ والتضييق عبر قطع السلطات الرسمية لخطوط الهاتف والإنترنت والرسائل النصية القصيرة لدواعٍ وصفتها بـ «الأمنية»، دُعي نحو ٢ مليون ناخبٍ لاختيار رئيس لدولة الكونغو برازافيل في ٢٠ مارس ٢٠١٦م، وهي الانتخابات التي فاز بها الرئيس المنتهية ولايته «دينيس ساسو نغيسو» (البالغ من العمر ٧٢ عاماً)، وأعلن خمسة مرشّحين رئاسيين من المعارضة: أنّ الانتخابات تمّت في مناخٍ يُفقدها وصف الـ «نزيهة، وشفافة، وتتمتع بالمصداقية»- على حدّ قولهم -[١].

وقد حكم الرئيس المنتهية ولايته (الفائز بتلك الانتخابات) البلاد لما يربو عن ٣٢ عاماً، في الفترات من (١٩٧٩م) إلى (١٩٩٢م)، ثم خسر الانتخابات في ذلك العام، ليعود عام ١٩٩٧م بعد الحرب الأهلية، ثمّ فاز في انتخاباتٍ محلّ تحفظاتٍ وجدلٍ في عام ٢٠٠٢م، وما تزال مستمرة بفوزه الأخير[٢].

الرأس الأخضر (مارس ٢٠١٦م):

شهدت جمهورية الرأس الأخضر في العشرين من مارس ٢٠١٦م انعقاد الانتخابات التشريعية، برقابةٍ من بعثة الاتحاد الإفريقي، وقد دُعي لها ما يقرب من ٣٥٠ ألف مواطن، لانتخاب نوابٍ جددٍ للجمعية الوطنية (البرلمان)، لمدة خمس سنوات مقبلة، وهي الانتخابات التي تتشكّل على إثرها حكومة الأغلبية البرلمانية.

وتنافست في تلك الانتخابات ستة أحزاب، هي:

١ - الحزب الإفريقي لاستقلال الرأس الأخضر، وهو الحزب الحاكم إبّان تلك الانتخابات منذ عام ٢٠٠١م، كما أنه عضو «الاشتراكية الدولية».

٢ - حزب الحركة من أجل الديمقراطية.

٣ - حزب الاتحاد المستقل والديمقراطي للرأس الأخضر.

٤ - الحزب الاشتراكي الديمقراطي.

٥ - حزب العمل والتضامن.

٦ - حزب الشعب.

وتسفر تلك الانتخابات عن انتخاب ٧٢ عضواً بالجمعية الوطنية من ١٣ دائرة انتخابية، ويتراوح عدد الأعضاء المنتخبين عن كلّ دائرة بين عضوَين إلى ثمانية عشر عضواً، وتتمّ الانتخابات بأسلوب التمثيل النسبيّ عبر القائمة المغلقة[٣].

وقد أسفرت الانتخابات عن فوز حزب «الحركة من أجل الديمقراطية» برئاسة «يوليسيس كوريا إي سيلفا»، وهو حزبٌ ذو توجه «ليبرالي»، ويعدّ حزب المعارضة الرئيس قُبيل تلك الانتخابات، حيث فاز بما يربو عن ٥٠٪ من الأصوات؛ ليعود للسلطة مرة أخرى، حيث فاز بأول انتخابات تعددية عام ١٩٩١م، ثم انتخابات ١٩٩٥م، لينتقل لصفوف المعارضة عام ٢٠٠١م، ثم يعود مرة أخرى للأغلبية البرلمانية ومقعد

(١) «نغيسو رئيساً للكونغو برازافيل لولاية جديدة»، شبكة الجزيرة الإخبارية، ٢٤ مارس ٢٠١٦م، عبر الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/24/3/international/2016

(٢) «فوز رئيس الكونغو ساسو نغيسو بفترة رئاسية جديدة»، جريدة الشرق الأوسط السعودية، بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠١٦م، العدد رقم ١٣٦٣١، عبر الرابط الآتي للجريدة: http://aawsat.com/home/article/599721/

(٣) تغطية الموقع الرسمي للاتحاد الإفريقي لانتخابات جمهورية الرأس الأخضر، عبر الرابط:
http://au.int/ar/2016-parliamentary-elections-cape-verde

رئيس الوزراء هذا العام[١].

تشاد (أبريل ٢٠١٦م):

جـرت الانتخابـات الرئاسـية في تشـاد في العاشـر من أبريل ٢٠١٦م، في مناخٍ شـهد اتهامات من المعارضة بانحياز لجنة الانتخابات إلى الحزب الحاكم من ناحية، ووجود رقابة بعثة من الاتحاد الإفريقيّ من ناحية أخرى[٢].

فاز في تلك الانتخابات الرئيس المنتهية ولايته «إدريس ديبي» بفترة ولايةٍ خامسـة، والذي يحكم البلاد منذ ٢٦ عاماً، وذلك بعد حصوله على ٦١٪ من الأصوات، من ضمن ١٣ مرشّحاً منافساً، ليفوز بها من الجولة الأولى، في حين جاء أقرب منافسيه «صالح كبزابو» في المركز الثاني، حيث حصل على ١٣٪، وقد بلغت نسبة المشاركة ما يقرب من ٧٦٪، وذلك وفقاً للإحصائيات الرسميّة بالبلاد[٣].

جيبوتي (أبريل ٢٠١٦م):

أُجريت يوم الجمعة الموافق ٨ أبريل ٢٠١٦م الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية بجيبوتي، برقابة من: الجامعة العربية، والاتحاد الإفريقيّ، والتعـاون الإسـلاميّ، وهي الانتخابـات التي خاضها الرئيس المنتهية ولايته «إسماعيل عمر جيله» (البالغ مـن العمر ٦٩ عاماً)، الذي يتقلد هذا المنصب منذ ١٧ عامـاً، ويعدّ ثاني رئيس لجيبوتي منذ استقلالها عن فرنسا عام ١٩٧٧م، وذلك بعد خلافته لعمّه الرئيس الأول لها «حسن جولد أبتيدون» عام ١٩٩٩م[٤].

وقد نافسه في تلك الانتخابات: «عمر علمي خيره»، بصحبة المرشّـح «محمد داود شحم»، ممثلَيْن لائتلاف المعارضة الجيبوتي، تحت اسم: «الاتحاد من أجل الإنقاذ الوطني»، والذي يتكون من سـبعة أحزاب معارضة، قاطعت ثلاثةٌ منها تلك الانتخابات، حيـث أخفقت أحزاب الاتحاد في الاتفاق على تسمية مرشّحٍ واحدٍ للانتخابات الرئاسـية، أما المرشـحون المسـتقلون بتلك الانتخابات فهُم: «حسن إدريس أحمد»، «محمد موسى علي»، «جامع عبد الرحمن جامع»، وتبلغ الكتلـة الناخبـة ١٨٧ ألف ناخـب تقريباً؛ من إجماليّ ٨٧٥ ألف مواطن بدولة جيبوتي[٥].

وقد فاز الرئيس المنتهية ولايته «إسـماعيل عمر جيله» بتلـك الانتخابات؛ لتكون رابع ولاية رئاسـية له، حيـث حصل على نسـبة أصوات تجاوزت ٨٠٪ من أصوات الناخبين[٦].

غينيا الاستوائية (أبريل ٢٠١٦م):

شـهدت جمهورية غينيا الاسـتوائية، في الرابع والعشرين من أبريل ٢٠١٦م، انعقاد الدور الأول للانتخابـات العامّة الرئاسـية لانتخاب رئيس البـلاد، تمّت الانتخابـات بمراقبة بعثة

(١) «حزب المعارضة الرئيسي في الرأس الأخضر يعود إلى السلطة»، يومية إيلاف الإلكترونية، العدد ٥٤٢٠، بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠١٦م، عبر الرابط: http://elaph.com/Web/html.1078859/3/News/2016

(٢) «بعثة إفريقية إلى تشاد لمراقبة الانتخابات الرئاسية»، شبكة الجزيرة الإخبارية، بتاريخ ٦ أبريل ٢٠١٦م، عبر الرابط: http://www.aljazeera.net/news/international/2016/4/6

(٣) «ديبي يفوز بفترة رئاسية خامسة في تشاد»، شبكة الجزيرة الإخبارية، بتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠١٦م، عبر الرابط: http://www.aljazeera.net/news/international/2016/4/22/

(٤) «بدء التصويت في الانتخابات الرئاسية بجيبوتي»، جريدة الشرق الأوسط السعودية، بتاريخ ٨ أبريل ٢٠١٦م، العدد رقم ١٣٦٤٦، عبر الرابط الآتي للجريدة: http://aawsat.com/home/article/611461

(٥) «إقبال ضعيف في انتخابات الرئاسة في جيبوتي»، وكالة أنباء سكاي نيوز عربية، بتاريخ ٨ أبريل ٢٠١٦م، في الرابط: http://www.skynewsarabia.com/web/article/831139

(٦) «إسماعيل غيلة يفوز بالانتخابات الرئاسية في جيبوتي»، جريدة الرياض السعودية، بتاريخ ٩ أبريل ٢٠١٦م، في الرابط الآتي: http://www.alriyadh.com/1145276

للاتحاد الإفريقيّ مكوّنة من أربعين عضواً، ويترأسها رئيس جمهورية بنين السابق «يوني يايي»[١]، ومن المنتظر أن يفوز بها الرئيس المنتهية ولايته «تيودورو أوبيانج» (البالغ من العمر ٧٣ عاماً)، والمستمر في الحكم منذ ٣٦ عاماً؛ في أعقاب انقلابٍ عسكريٍّ عام ١٩٧٩م، ليكون أقدم مَن تولّى منصب «الرئيس» في القارة الإفريقية، ومستمر حتى تاريخه[٢].

ثانياً: «الانتخابات» كوسيلة للاستدامة السياسية في الربع الثالث من عام ٢٠١٦م:

شهد ويشهد النصف الثاني من عام ٢٠١٦م انتخابات عامّة رئاسية في سبع دول، مرتبة وفقاً للتواريخ التي عُقدت فيها الانتخاب، أو المزمع انعقاد الانتخابات بها- سيأتي ذكرها في: ثالثاً-، وذلك كما يأتي:

ساوتومي وبرنسيب (يوليو ٢٠١٦م):

كان من المزمع أن تُعقد الانتخابات العامّة بدولة «جمهورية ساوتومي وبرنسيب الديمقراطية» في يوليو من عام ٢٠١٦م، وقد عُقدت بالفعل في ١٧ يوليو، وأُعلنت نتيجتها الرسمية في السابع من أغسطس عام ٢٠١٦م، وقد كان التغيير عبر الانتخابات العامّة الراهنة متوقّعاً في «ساوتومي وبرنسيب»؛ لاعتبارات السنّ خاصّة، حيث إنّ الرئيس الحالي «مانويل بينتو دا كوستا» وُلد عام ١٩٣٧م، وهو أول رئيس لها عند الاستقلال عام ١٩٧٥م، ثمّ خسر الانتخابات في: (١٩٩٦م، ٢٠٠١م)، وبالإضافة لاعتبارات السنّ؛ فإنّ المسار الديمقراطي بها مرشّح للتماسك[٣].

أما البيانات الإحصائية لتلك الانتخابات؛ فكان إجمالي عدد الكتلة الناخبة في تلك الانتخابات ٥١,١٧٣ ألف صوت، من إجماليّ عدد أصوات مسجلة تبلغ ١١١,٢٢٢ ألف صوت، والأصوات الصحيحة منها بلغت ٤٣,٦٠٦ ألف صوت، والباطلة ٧,٥٦٧ ألف صوت، وقد ترشّح لتلك الانتخابات مرشّحَان اثنان، أحدهما: الرئيس المنتهية ولايته «مانويل بينتو دا كوستا»، والآخر هو: «إفاريستو اسبيريتو سانتو كارفالو»، وهو مرشّح الحركة الديمقراطية المستقلة، وقد انسحب الرئيس المنتهية ولايته من الانتخابات بعد جولتها الأولى في ضوء ادعاءاته بتزويرها، مما جعل «كارفالو» المرشّح الوحيد في الجولة الثانية، والتي انتهت بفوزه بها بعدد ٤٢,٠٥٨ ألف صوت؛ بما نسبته ٨٢,١٩٪، لتبدأ مرحلة جديدة من التداول السّلمي للسلطة في هذه الدولة الصغيرة التي لا يتجاوز عدد سكانها ٢٠٠ ألف نسمة[٤].

الجابون (أغسطس ٢٠١٦م):

أما الجابون؛ فقد كان يُتوقع عدم حدوث تغييرٍ سياسيٍّ عبر هذه الانتخابات، وذلك وفقاً لآراء المراقبين قبل انطلاقها، وذلك في ضوء تولّي «علي» ابن الرئيس السابق «عمر بونغو» للسلطة خلفاً لوالده في عام ٢٠٠٩م، والذي تولّى السلطة منذ عام ١٩٦٧م، وحتى وفاته في

(١) «رئيسة مفوضية الاتحاد الإفريقي توافق على نشر بعثة مراقبة قصيرة المدى إلى الانتخابات الرئاسية في جمهورية غينيا الاستوائية»، بيان صحفي منشور علي إدارة الإعلام والاتصال، مفوضية الاتحاد الإفريقي، بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠١٦م، عبر الرابط: http://www.au.int/ar/auc-chairperson-approves-deployment-short-term-election-observation-mission-equatorial-guinea

(٢) «ناخبو غينيا الاستوائية يتوجهون إلى صناديق الاقتراع لتمديد ولاية الرئيس، جريدة الشرق الأوسط السعودية، ٢٤ أبريل ٢٠١٦، العدد رقم ١٣٦٦٢، عبر الرابط الآتي للجريدة: http://aawsat.com/home/article/624191/

(٣) انظر: https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/tp.html

(٤) Election guide: Democracy assistance & Elections News/ Sao Tome and Principe , via link; http://www.electionguide.org/elections/id/2973/

٢٠٠٩م[١].

وقد عُقدت الانتخابات على دورةٍ واحدةٍ وليست دورتَيْن، في السبت الموافق ٢٧ أغسطس ٢٠١٦م، بين عددٍ من المرشحين، ودُعي لها حوالي ٦٢٨ ألف ناخبٍ، تحت إشراف مراقبين من الاتحاد الأوروبي والاتحاد الإفريقيّ.

فاز في هذه الانتخابات الرئيس المنتهية ولايته «علي عمر بونغو أوديمبا» (٥٧ عاماً) في سياقٍ غريبٍ، حيث أعلن منافسه الرئيس المعارض «جان بينغ» (٧٣ عاماً) – وهو الرئيس السابق لمفوضية الاتحاد الإفريقيّ، ووزير لعدد من الحقائب الوزارية في عهد بونغو الأب – فوزه هو الآخر في الانتخابات، وهو ما قاد إلى مصادماتٍ على إثر اتهاماتٍ متبادلةٍ بالتزوير، فقد شهدت أنحاء من البلاد، وبخاصّة مدينة «بور جنتي» بجنوب غربي البلاد، وهي مدينة غنية بالبترول، احتجاجات واشتباكات بين قوات الأمن ورافضين لما وصفوه بتزويرها، وقد انتهت أحداث الشغب والمصادمات بعدما خلّفت ثلاثة قتلى؛ وفقاً للبيانات الرسمية الصادرة عن السلطات الحكومية، وذلك بعد فترةٍ وجيزةٍ من الانتخابات[٢].

زامبيا (أغسطس ٢٠١٦م):

أما زامبيا؛ ثاني أكبر منتج للنحاس في إفريقيا، والتي تعاني من تراجعٍ اقتصاديٍّ جراء انخفاض أسعار السلع، فقد انتُخب «إدغار لونغو»، وهو وزير الدفاع السابق، في ٢٤ يناير ٢٠١٥م، في انتخابات خاصّة لاستكمال مدة حكم الرئيس «مايكل ساتا» الذي تولّى الحكم في ٢٠١١م عبر الانتخابات، وتُوفي في ٢٠١٤م، وعليه كان من المزمع أنّ تُعقد انتخابات عامّة رئاسية في أغسطس ٢٠١٦م لانتخاب رئيسٍ جديدٍ للبلاد، لذا فإنّ زامبيا كانت على موعدٍ مع استكمال مسارها الديمقراطي[٣].

وقد عُقدت الانتخابات في موعدها، وانتُخب فيها «إدغار لونجو» بصعوبةٍ بالغة، بهامشٍ ضئيلٍ نسبيّاً (٥٠,٣٥٪ للمرشّح الفائز مقابل ٣٧,٦٣٪ لمنافسه)، لفترة رئاسةٍ جديدةٍ بعد فوزه على منافسه الرئيسي «هاكيندي هيشيليما» مرشّح حزب المعارضة الرئيسي في زامبيا «الحزب المتحد للتنمية الوطنية»، في الانتخابات التي وصفها الأخير بأنه تمّ التلاعب بنتائجها، وقد رفض حزب المرشّح المعارض النتائج، وأكد أنه سيطعن عليها أمام المحكمة الدستورية؛ متهماً مسؤولي الانتخابات بتوزيرها[٤].

ثالثاً: توقعات التغيير في الربع الأخير من عام ٢٠١٦م:

أما الدول المزمع انعقاد الانتخابات بها في الربع الأخير من عام ٢٠١٦م؛ فهي:

- الصومال (أكتوبر ٢٠١٦م).
- الكونغو الديمقراطية (٧ نوفمبر ٢٠١٦م).
- جامبيا (١ ديسمبر ٢٠١٦م).
- غانا (ديسمبر ٢٠١٦م).

ويبدو أنّ الوضع في الصومال لا يزال يكتنفه الغموض بشأن عقد الانتخابات العامّة في موعدها لاختيار رئيسٍ جديدٍ للبلاد؛ في ضوء

---

(١) Gambian presidential election set for December 2016, news24, via link; http://www.news24.com/Africa/News/gambian-presidential-election-set-for-december-2016-20151208

(٢) «محتجون على نتائج الانتخابات في الجابون يشتبكون مع الشرطة»، وكالة أنباء رويترز بالعربية، ١ سبتمبر ٢٠١٦م، عبر الرابط: http://ara.reuters.com/article/worldNews/idARAKCN11747A

(٣) «لونجو يفوز بفارق ضئيل على منافسه في انتخابات الرئاسة في زامبيا»، وكالة أنباء رويترز، ٢٤ يناير ٢٠١٥م، الرابط: http://ara.reuters.com/article/worldNews/idARAKBN0KX0SJ20150124

(٤) «فوز لونجو رئيس زامبيا بفترة جديدة في انتخابات متنازع على صحتها»، وكالة أنباء رويترز بالعربية، ١٥ أغسطس ٢٠١٦م، الرابط: http://ara.reuters.com/article/worldNews/idARAKCN10Q14L

ما يُنسب من تصريحات لمؤسسات رسمية بعدم إمكانية تنظيم الانتخابات في موعدها[1]، على الرغم من تداول بعض وسائل الإعلام نفي الرئيس الصوماليّ لذلك، وتأكيده انعقادها، وفي ضوء التضارب الحاصل؛ فإنه يبدو أنّ الديمقراطية لا تزال غير قريبة عن الواقع الصوماليّ الراهن.

في حين يبدو أنّ «كابيلا الابن»: لديه متسعٌ من الوقت للحكم لفترةٍ جديدةٍ في جمهورية الكونغو الديمقراطية، والذي يتولى السلطة منذ عام ٢٠٠١م، وذلك في مناخٍ من معارضة سياسيين وأحزاب لاستمراره.

أما جامبيا؛ فإنها على موعدٍ مع إعادة انتخاب الرئيس «يحيي جامع» الذي يحكم البلاد في أعقاب انقلاب يوليو ١٩٩٤م، وأعيد انتخابه ثلاث مرات، وعليه؛ فإنه مرشّح للاستمرار، خصوصاً في ضوء صغر سنّه، حيث يبلغ من العمر ٥٠ عامّاً، وذلك حال استمرار ظروف حكمه.

وأخيراً: فإنّ غانا، التي توصف بأنها نموذجٌ للديمقراطية في إفريقيا، ستكون على موعدٍ مع الانتخابات العامّة لاختيار رئيسٍ جديدٍ للبلاد؛ خلفاً للرئيس «جون دراماني ماهما» الذي يتولّى السلطة منذ عام ٢٠١٢م[2].

رابعاً: «الانتخابات» كأداة في إفريقيا لتحقيق الاستدامة السياسية للنّخبة الحاكمة:

من العرض السابق لمسار الانتخابات العامّة في الدول الإفريقية ونتائجها- بعاليه-، والسيناريوهات المتوقعة لتلك التي لم تُعقد بعد، يمكن الوقوف على الآتي:

- استمر الرئيس المنتهية ولايته في ستّ دول- من أصل عشر دول- في الحكم؛ عبر إعلان فوزه في الانتخابات الرئاسية التي جرت في عام ٢٠١٦م، وهي: (النيجر، تشاد، أوغندا، الكونغو الشعبية، جيبوتي، وغينيا الاستوائية)، أي ما نسبته ٦٠٪.
- تغيّر شخص «الرئيس» - «رئيس الوزراء» (في حالة النظام البرلماني بالرأس الأخضر)- في أربع حالات، هي: (إفريقيا الوسطى، بنين، جزر القمر، الرأس الأخضر)؛ من أصل عشر دول؛ بنسبة ٤٠٪.
- يلاحظ أنّ كلّ الرؤساء المستمرين في الحكم عبر الانتخابات- المشار إليها بعاليه-، إنما تولّوا في أعقاب انقلابٍ عسكريٍّ، أو هُم من بقايا حركات استقلالٍ وطني.
- يلاحظ أنه في الدول التي شهدت تغيير في شخصية «الرئيس» عبر «الانتخابات»، وهي الدول الأربع سالفة الذكر، فإنّ المرشّح الفائز في الانتخابات بإفريقيا الوسطى محسوب على الرئيس الذي تمّت إزاحته قبل اتساع دائرة العنف، كما أنّ المرشّح الفائز في الانتخابات- أو الحزب الفائز في حالة الرأس الأخضر- بجزر القمر والرأس الأخضر: تولّوا الحكم في فترات سابقة.
- أنّ الديمقراطية وآليتها الانتخابية تحرز تقدّماً واضحاً في: (الرأس الأخضر، وبنين، وجزر القمر)، وهي دول تحقّق مواقع جيدة مقارنةً بالدول الستّ التي لم تشهد تغييراً في رأس السلطة عبر الانتخابات، باستثناء إفريقيا الوسطى التي شغلت موقعاً متقدّماً- أي أكثر سوءاً-؛ وفقاً لتقرير «الدول الفاشلة»

(١) «الصومال يعلن استحالة تنظيم انتخابات ٢٠١٦م»، شبكة الجزيرة الإخبارية، ٢٩ يوليو ٢٠١٦م، عبر الرابط: http://www.aljazeera.net/news/arabic/2015/7/29/

(٢) «غانا: النموذج الديمقراطي في إفريقيا تودع رئيسها وتشهد نقلاً سلساً للسلطة»، جريدة الشرق الأوسط السعودية، ٢٦ يوليو ٢٠١٢م، العدد ١٢٢٩٤، عبر الرابط الآتي للجريدة: http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&article=688086&issueno=12294#.Vx4hDPkrIdU

الصادر لعام ٢٠١٥م، كما هو موضح في الجدول الآتي[١]:

جدول:

الدول التي شهدت انتخابات عامّة في النصف الأول من عام ٢٠١٦م، وموقعها وفقاً لتقرير الدول الهشّة

م	الدولة	الترتيب وفقاً للتقرير
١	الرأس الأخضر	٩٥
٢	بنين	٧٣
٣	جزر القمر	٥٩
٤	غينيا الاستوائية	٥٤
٥	جيبوتي	٤٠
٦	الكونغو الشعبية (برازافيل)	٣٣
٧	أوغندا	٢٣
٨	النيجر	١٩
٩	تشاد	٦
١٠	إفريقيا الوسطى	٣

المصدر: الجدول من تصميم الباحث؛ استناداً لتقرير الدول الهشّة لعام ٢٠١٥م.

- استناداً للجدول السابق؛ يتضح أنّ الدول التي شهدت تغيّراً في رأس السلطة تحرز تقدّماً- باعتبارها الأبعد عن الفشل؛ وفقاً للمؤشّر السالف- في كونها أكثر الدول الإفريقية تماسكاً واستقراراً ونموّاً، باستثناء حالة إفريقيا الوسطى، وعليه؛ فإنّ الديمقراطية تؤتي ثمارها في نطاق الدول الأطراف بالقارة، بيد أنّ قلب القارة لا يزال عصيّاً على التغيير الديمقراطي.

- أنّ الدول التي عُقدت الانتخابات بها في الربع الثالث من عام ٢٠١٦م؛ لم تختلف نتائجها عن التوقعات التي ذهب لها المراقبون قُبيل هذه الانتخابات.

- لربما تعدّ زامبيا الحالة الوحيدة التي اختلف حولها المراقبون بشأن استمرار الرئيس المنتهية ولايته من عدمه؛ في ضوء اعتقاد تماسك المسار الديمقراطيّ بها.

- أنّ الدول التي من المزمع انعقاد الانتخابات بها في الربع الأخير من ٢٠١٦م؛ لن تختلف بصورةٍ ما عن مثيلتها التي عُقدت في النصف الأول منه، حيث يمكن تقسيمها إلى فئتين:

أولهما: فئة الدول التي ستشهد انتخابات مع استمرار شخص «الرئيس»، فمن المرشّح استمرار- في حال ثبات الظروف؛ خصوصاً: عدم استخدام القوة العسكرية للتغيير أو اندلاع عمليات عنف- رؤساء دول كلٍّ من: (الكونغو الديمقراطية، وجامبيا)، وذلك حال انعقاد تلك الانتخابات.

والفئة الثانية: هي فئة الدول التي ستشهد تغييراً عبر الانتخابات، وهي: غانا.

- أما فيما يخصّ الصومال؛ فيبدو أنّ سؤالها سيدور حول: ما إذا كانت ستعقد الانتخابات من عدمه؟ وليس عمّا إذا كانت الانتخابات ستُنتج تغييراً.

خاتمة:

في النهاية؛ يبدو أنّ الديمقراطية بآليتها الوحيدة المتمثلة في «الانتخابات» لا تزال عاجزة عن التغيير في إفريقيا، وأنه على الرغم من وجود حالات مقدّرة للتغيير عبر الديمقراطية- كالتي سبق ذكرها-؛ فإنها لا تزال تعدّ استثناءً في واقعٍ إفريقيٍّ معقّد ومضطرب ■

(١) تقرير «الدول الهشّة» لعام ٢٠١٥م، متاح على الرابط الآتي للتقرير: http://fsi.fundforpeace.org